ملتقى دولي حول : السيرة النبوية في الكتابات الأدبية عند المستشرقين جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

عنوان المداخلة:

النقد الاستشراقي لموقف الكنيسة من الإسلام وسيرة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–

لورا فينشيا فاليري نموذجا

الاسم واللقب: يوسف العايب

الرتبة: أستاذ محاضر أ

التخصص: مقارنة الاديان.

الدولة: الجزائر

مؤسسة العمل: جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية. كلية أصول الدين .

مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان

الهاتف: 0674495442

البريد الإلكتروني: laib_34@hotmail.com

مقدمة:

شكلت الكنيسة خاصة في القرون الوسطى معقل الدراسات الهجومية على الإسلام عموما وعلى شخصية الرسول –صلى الله عليه وسلم– خصوصا، فاضطلعت بدور إثارة الأحقاد وزرع روح العداء والتعصب، بدعوى أن محمدا عدوا للمسيح –عليهما السلام–، وأن الإسلام ينقض المسيحية.

ووصلت الكنيسة إلى ما وصلت إليه خاصة في القرون الوسطى من موقفها من الإسلام ورسوله إلى طبيعة العلاقة التاريخية بين المسيحية والإسلام، فمنذ بزوغ فجر الإسلام وقع الصدام بين الدولة الإسلامية الحديثة النشأة والدولة البيزنطية، وترك هذا التصادم التاريخي

أثره على طبيعة العلاقة بين دين الدولتين إلى ظهور الحروب الصليبية، ثم الحركة الاستشراقية وارتباطها بالمشروع الغربي الاستعماري.

استمرت الكنيسة عموما في موقها من الإسلام ورسوله محمد –صلى الله عليه وسلم– ضاربة عرض الحائط كل الحقائق التاريخية الثابتة التي جاء بها الإسلام.

وتأتي هذا الورقة البحثية ليس من أجل بيان الموقف المتطرف للكنيسة المسيحية من الإسلام ورسوله، أو موقف الاستشراق الكلاسيكي السلبي من الحقائق الثابثة التي جاء بها الإسلام، –وإن كان هذا جزء من الدراسة– وإنما من أجل بيان النقد الاستشراقي نفسه لموقف الكنيسة المتطرف أو من الكتابات الاستشراقية المتطرفة التي تنال من شخص الرسول –صلى الله عليه وسلم– وتطعن في الإسلام ورسالته.

وتتكون هذه الورقة البحثية من:

مقدمة:

أولا: موقف الكنيسة المسيحة من محمد –صلى الله عليه وسلم–:

ثانيا: دور الاستشراق في تدعيم الفهم الخاطئ للاسلام ونبوة محمد –صلى الله عليه وسلم–:

ثالثا: النقد الاستشراقي لموقف الكنيسة من نبي الإسلام:

خاتمة:

أولا: موقف الكنيسة المسيحة من محمد –صلى الله عليه وسلم–:

يمكننا رصد موقف الكنيسة المسيحية من نبي الإسلام محمد –صلى الله عليه وسلم من خلال التراث الجدلي المسيحي الإسلامي/ الإسلامي المسيحي، حيث يشهد هذا التراث على الصورة التي كان يشيعها ويروج لها النصارى عن محمد –صلى الله عليه وسلم–، خاصة لما تحول الصراع بين المسيحية والإسلام من ميدان السلاح إلى الميدان الفكري والثقافي، وفي هذا السياق يقول أحد المسيحيين مخاطبا جمهرة المسلمين: "إنني لا أهاجمكم كما يفعل

كثيرون بيننا بالسلاح إنني أوجه إليكم كلمات فقط بغير عنف، وبتعقل وهدوء من غير كراهية وبحب كبير"[1].

وبناء على ماسبق ذكره يمكن تقسيم موقف الكنيسة من الإسلام ونبيه محمد –صلى الله عليه وسلم إلى مراحل:

المرحلة الأولى:

وهي مرحلة متقدمة في تاريخ علاقة الكنيسة المسيحية بالدين الجديد، وقد تميزت بالجدل والرد على الإسلام ومحاولة بيان تهافته وغلطه، ومن بين أهم رجالات المسيحية الأوائل الذين حاولوا الرد على الإسلام ونبيه، يوحنا الدمشقي وتلميذه أبو قرة:

- **موقف يوحنا الدمشقي:**

تاريخيا يعد أكثر الدارسين والمؤرخين **يوحنا الدمشقي**[2] أول من حاول تأصيل هذا الاتجاه الفكري والديني المناهض للإسلام والتشكيك في رسالة نبيه، وذلك في كتاب له لقي انتشارا لدى أبناء ملته وضعه تحت عنوان: "De Haeresbuis" أي "الهرطقة"[3] خصص

---

[1] ريتشارد سوذرن، صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى، ت: رضوان السيد، دار المدر الإسلامي، ط2، 2006، ص: 82.

[2] يوحنا الدمشقي: ولد يوحنا منصور بن سرجون عام 676 في دمشق، أي أثناء حكم الدولة الأموية. والده كان وزيراً، وهذا الأمر مهم جداً لأنه يعطينا انطباعاً عن شكل الخلافة الإسلامية الأولى، فمن الواضح أن الدواوين ظلت تعمل بنفس الطريقة التي كانت عليها أثناء الدولة البيزنطية، وأن عصابات المسلمين اكتفت بالجلوس على العرش وجمع الجزية وبناء المساجد مكان الكنائس ومشاكسة المسيحيين واليهود. ولكنهم يعرفون جيداً أنهم راسبون في الإدارة، ولذلك ظلت بعض الدواوين مدارة من قبل أهالي الأمصار المحتلة.

ورث يوحنا وظيفة أبيه، وبالتالي كان على علاقة بالخلفاء الأمويين، ثم تحول إلى الرهبنة في عهد هشام بن عبد الملك بن مروان. دافع يوحنا الدمشقي دفاعاً شديداً عن الأيقونات، وله العديد من الكتابات وأهمها بالنسبة لنا في هذا السياق هنا هو كتاب ينبوع المعرفة. (https://www.il7ad.org/vb/showthread.php?t=13056

[3] تعريف الهرطقة: الهرطقة عند المسيحيين هي البدعة في الدين، وهي من أصل يوناني، والنسبة إليها هرطوقي. نقلا عن: (موسوعة عالم الأديان، مجموعة من كبار الباحثين، ط. ب. مفرج، ج: 8، ص: 71).

أحد فصوله للحديث عن الإسلام ونبيه محمد –صلى الله عليه وسلم تحت مسمى "**هرطقة الإسماعليين**" حيث ركز على البرهنة بأن نبوة محمد ما هي إلا زيف وافتراء[4].

أما الكتاب الثاني الذي تحدث فيه يوحنا الدمشقي عن الإسلام ونبيه محمد –صلى الله عليه وسلم- هو "المناقشة بين مسلم ومسيحي" الذي هو عبارة عن أجوبة على المسلمين في بعض النقاط.

وأهم ما ذكر في كتابه الهرطقات خاصة الهرطقة رقم مائة (100):

- أن الإسماعليين قبل الإسلام كانوا يعبدون الأصنام ونجمة الصبح يسمونها "خَبَار" وأن الحجر الاسود كان رأس ذلك الصنم، وبذلك فهو يتهم المسلمين بعبادة الاصنام[5].

- تعلم محمد –صلى الله عليه وسلم على أسفار العهدين القديم والجديد على راهب آريوسي، وتعلم منه، وهذا الشبهة استمرت إلى وقتنا الحالي[6].

- لم يرى في الإسلام إلا أنه بدعة منحرفة عن المسيحية.

- اتهم النبي –صلى الله عليه وسلم- بأنه مهتم بشهواته من خلال اتهامه بكتابة سورة النساء لكي يشرع لطمحاته، ومن خلال سرد منحرف لقصة زواج بالسيدة زينب رضوان الله تعالى عليها[7].

- اتهم النبي محمد –صلى الله عليه وسلم بأنه منتحل النبوة، وقد أعلن ذلك بعد ان احرز لنفسه حظوة لدى الشعب بعد تظاهره بالتقوى[8].

وبناء على رأي يوحنا الدمشقي تشكلت الرؤية المسيحية للإسلام ونبيه محمد –صلى الله عليه وسلم – في الدراسات اللاهوتية المسيحية خاصة الشرقية، وكانت لمكانته الروحية بين

---

[4] مصطفى بوهبوه، الاجدل الديني المسيحي الإسلامي تاريخيه وموقف الإسلام منه، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، ص: 09.

[5] القديس يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، 1997، ص: 49

[6] المرجع نفسه، ص: 50.

[7] المرجع نفسه، ص: 56

[8] المرجع نفسه، ص: 50.

آباء الشرق المسيحي، ومركزه السامي في البلاط الاموي من عناصره ثقله التي مكنت لرأيه في الحكم على الإسلام[9].

- **موقف القديس ثاودروس أبو قرة:**

تذكر **أنجيليكا غريغوري زياكا** في مقال لها أن تلميذ يوحنا الدمشقي **القديس ثاودروس أبو قرة**[10] من الأدباء المسيحيين الذين كتبوا باللغة العربية للدفاع عن المعتقدات المسيحية ضد كل من اليهود والمسلمين، وتنوعت كتاباته بين الأعمال الدفاعية والهجومية واللاهوتية وكلها تقريبا ضد الإسلام[11].

ومن أهم أعمال ثاودروس أبو قرة: "**ضد البعثة النبوة المحمدية**" وهو عبارة عن محاورة جرت بين مسلم ومسيحي. وقد ذكرت **أنجيليكا غريغوري زياكا** مقتطفا من هذا الحوار، يسأل فيه المسلم اﻷسقف السؤال التقليدي للمسلمين وهو« :لماذا لا يؤمن المسيحيون بنبوة محمد؟ أي أن الإله، رغم أن النبوءة الإنجيل، فيجيب الأسقف أنه لم ترد نبوءة عم محمد في الإنجيل، وكذلك لم يأِ ت محمد بمعجزات تشهد لصدق نبوته[12]»

ومن أعماله الهجومية أيضاً كما تذكر **أنجيليكا** « **تملك الشيطان لمحمد**» و«**سمو الزواج بواحدة فقط**»

---

[9] أنجيليكا غريغوري زياكا، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمجادلة، ص 07

[10] ثاودروس أبو قرة: أحد آباء الكنيسة الشرقية وعلم من اعلام اللاهوتيين المسيحيين العرب، ولد في الرها، وفيها تلقى العلم، ثم ترهب في دير القديس يوحنا الدمشقي، فتخرج فيها، انتخب مطران على الملكية في حران، ولم تطل إقامته فيها، فعاد إلى مارسابا، وهناك أنشأ رسالة في العقيدة ثم تحول إلى داعية متجول، يدافع عن الدين المسيحي، ثم اقام مدة في بغداد، وأكثر الظن انه توفي فيها، كان أبو قرة يجيد اللغات السريانية والعربية واليونانية، كتب في السريانية ثلاثين مقالا مادحا فيها رأي الأرثوذكسيسة، ولم يعرف عنها شيء، وكتب في اليونانية أربعا زأربعين مقالة نشر بعضها، أما في العربية فقد تفوق في مؤلفاته على اللغتين السابقتين حجما، ومعرفة، وعظة، فبلغ عدد تآليفه منها ثلاثين مؤلفا. (عن: موسوعة الأعلام: العرب والمسلمين والعالميين، ج:1، ص: 81)

[11] أنجيليكا غريغوري زياكا، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمجادلة، مجلة التسامح، المجلد 2010، العدد 29 (31 مارس/آذار 2010)، ص ص. 1-32، 32ص.

[12] المرجع نفسه، ص 244

وقد ردّ على أبي قرّه المردار، أبو موسى عيسى بن صبيح معتزلي من بغداد توفي حول 840[13]، وله كتاب الرد على النصارى وكتاب على أبي قرّه النصراني.

وعلى كل حال فإن أعمال كلا من يوحنا الدمشقي وتلميذه ثاودروس أبو قرة تعتبر من بين أهم الاعمال في العلاقة الجدلية بين المسيحية والإسلام، وفي هذا الصدد تقول مرة اخرى الباحثة اليونانية **أنجيليكا غريغوري زياكا** «فهؤلاء المدافعون عن الدين المسيحي بنقدهم المنهجي للمعتقدات الإسلامية جعلوا المتكلمين المسلمين ينهضون، واضطروهم إلى استلهام منهج الحجج المنطقية من الالهوت المسيحي، وبالتالي اليوناني، وعلى الأخص المنطق الأرسطي كي يعبروا به عن لاهوتهم الإسلامي (علم الكلام[14]»

المرحة الثانية:

وتمتد تقريبا من القرن التاسع ميلادي إلى منتصف القرن الرابع عشر، وتتميز هذه المرحلة بتزايد الكتابات الهجومية على الإسلام ونبيه، وقد مثلت كتابات كلا من يوحنا الدمشقي وتلميذه ثاودرس القاعدة الأساسية لمجمل الحجج المستعملة في هذه الفترة وإن اختلف الأسلوب والطريقة فقط، وقد ذكرت **أنجيليكا غريغوري زياكا** في مقال لها بعنوان: **الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمجادلة**، أهم الاعمال في هذه الفترة ومنها:

- «**تاريخ تيوفانيس المعترف**» يعتبر تيوفانيس أول من ادعى من الكتاب المسيحيين المدافعين مرض النبي محمد –صلى الله عليه وسلم بالصرع، وبهذا فتح المجال خاصة امام الكتاب البيزانطيين الذين حدو حذوه في هذا الاتهام.
- «**تاريخ مقتضب لجورج الراهب**[15]» الذي تأثر كثيرا بتيوفانيس، وقد خصص فصلا في كتابه للحديث عن الإسلام ونبيه العربي فيبدأ «بعرض موجز لحياة محمد،

---

[13] أَبُو مُوْسَى عِيْسَى بنُ صَبِيْحٍ المُلَقَّبُ :بِالمردَازِ، البَصْرِيُّ، مِنْ كِبَارِ المُعْتَزِلَةِ أَرْبَابِ التَّصَانِيْفِ الغَزِيْرَةِ، المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/10906/7034، تاريخ الزيارة 2020/02/26 على الساعة 13:18.

[14] المرجع نفسه، ص 245

[15] من مؤرخي القرن التاسع الميلادي، يعرف باسم جورج الراهب أو الأثيم، وال نعلم عنه سوى كونه راهباً عاش))35 ((أثناء حكم ميخائيل الثالث)867-842م(.)ينظر: انجيليكا غريغوري زياكا، المرجع نفسه، ص 248

ويحكي قصة خدمته لخديجة قريبته الثرية التي تزوجها، ثم يتعرض لاختلاطه بالمسيحيين واليهود أثناء رحالته بالقوافل في فلسطين، واقتباسه لأقوال وتعبيرات الكتاب المقدس، ويزعم جورج أن محمداً تتلمذ على راهب مهرطق أريوسي فيقول: »ومحمد هذا عدو لله ملحد، فلقاؤه باليهود والمسيحيين المزعومين أريوسيين ونساطرة، ووجوده وسط اليهود جعله يأخذ عنهم- أي اليهود — الوحدانية، وعن الأريوسيينَ خلق الكلمة والروح، وعن النساطرة عبادة البشر وأعدّ منها جميعادينا له[16]»، كما واصل جورج الراهب اتهاماته للنبي —صلى الله عليه وسلم خاصة في معتقداته في الجنة والوحي والقرآن، كما اعتبر أقوله هوسا وإلحادا.

- **نيكيتا البزنطي**: يعتبر نيكيتا أهم ممثل للفكر المناهض للإسلام في النصف الثاني من القرن التاسع، ومن اهم أعماله: «دحض للكتاب المزيف من قبل محمد العربي»،

- **رسالة لاون أغسطس الإمبراطور إلى عمر ملك السراسنة عن**: «حقيقة وأسرار الإيمان المسيحي واختلافه عن هرطقة وتجديف المسلمين»

- **رسالة أريثاس أسقف قيصرية إلى أمير دمشق**: «رسالة إلى أمير دمشق» والملاحظ على هذه الرسالة نبرة السخرية والتهكم التي تناول بها المؤلف القضايا الإسلامية وخصوصا شخصية محمد ونبوته، ومحاولة الإسلام في نظره أن يساوي محمد بالشخصيات التاريخية العظيمة الواردة في الكتاب المقدس.

- **إفثيميو سزيغافينوس «الدرع العقائدي: فصل18: ضد السراسنة»** في هذا الكتاب يعرض صاحبه للتعاليم المسيحية بالشرح، ثم ينتقل للحديث عن الهرطقات والتي من بينها الإسلام، وفي حقيقة الامر أن ما كتبه إفثيميو ما هو إلا تجميع لنصوص الآباء من قبله وخاصة يوحنا الدمشقي.

- **نيكيتا خونياتي: «كنز الإيمان الأروذكسي الفصل20: عن دين المهاجرين »**: في هذا الكتاب يعوّض صاحبه للهرطقات المختلفة والصراعات العقدية في وقته، ويخصص الفصل العشرين لدراسة الإسلام، ويقرر بأن محمدا —صلى الله عليه وسلم-

[16] المرجع نفسه، ص 249

استقى تعاليمه من الرهبان الآريوسيين، والنساطرة، ويرفض الوحي الإسلامي، كما يدين تعدد زوجات النبي –صلى الله عليه وسلم–[17]

- **إفثيميوس الراهب «محاورة عن الدين مع فيلسوف سراسني بمدينة ميليتيني»**: وهذا النص يقسم إلى قسمين: الأول دفاعي والثاني هجومي، فالاول يتضمن اعتراضات واتهامات للاهوت الإسلامي، والقسم الثاني: يمثل تجميعا لنصوص وآراء مختلفة تدحض نبوة محمد والوحي الإلهي (القرآن)، والتعاليم الأساسية للإسلام.

- **بارثو لوميو سالر هوي «تفنيد هاجري»**: يعتر هذا الكتاب من الكتاب الجد متعصبين في نقدهم للإسلام، وذلك لأن أسلوبه لاذع جدا، يذكر عن نفسه فيقول: "مررت على جميع كتبهم، ولم أجد فيها شيئا نافعا"، ومن بين أهم ما ذكره من انتقادات هو محاولة مساواة المسلمين بين محمد والمسيح، وجعله شحصية مثالية، كما أنه ينفي رسالة محمد ونبوته، ويقص غرائب كثيرة حول حياته، ويقول بأن حياته وأخلاقه لا تؤيد نبوته، كما أن قرآنه عبارة عن خليط من الحقائق والضلالات، ومصدرها الراهب **بحيرى**[18].

ثانيا: دور الاستشراق في تدعيم الفهم الخاطئ للاسلام ونبوة محمد –صلى الله عليه وسلم–:

لا يمكن الحديث عن دور الاستشراق في تدعيم الفهم الخاطء الذي كانت الكنيسة المسيحية تشيعه عن الإسلام ونبيه محمد –صلى الله عليه وسلم، إلا عبر الحديث عن علاقة الاستشراق بالكنيسة المسيحية وعلاقة هذه الأخيرة بالإسلام.

- والحديث عن علاقة الإستشراق بالكنيسة يجرنا للحديث عن البدايات المبكرة لنشأة الاستشراق ودوافعه وأهدافه، والتي أبانت عن العلاقة القوية بين الاستشراق والكنيسة المسيحية ووظائفها، فأغلب المستشرقين الأوائل كانوا منصرين أو رهبانا أو أساقفة في الأديرة والكنائس المسيحية[19]، ويعتبر **نجيب العقيقي** في كتابه: "المستشرقون" أن أول المستشرقين

[17] المرجع نفسه، ص 15

[18] المرجع نفسه، ص 16

[19] نجيب العقيقى. المستشرقون. 3 أجزاء. القاهرة: دار المعارف، (1980م). 110/1 – 125

هو جرير دي أورالياك[20] كما يفرد **نجيب العقيقي** فصلا كاملا عن المستشرقين الرهبان وأوصل عددهم إلى: 132 مستشرقا راهبا، 75 بالمائة عاشوا في القرن العشرين، ويوزعهم كالآتي:

- الرهبان البندكتيون.
- الرهبان الكرمليون.
- الرهبان اليسوعيون.
- الرهبان الفرنسيسكان.
- الرهبان الدومنيكيون.
- الرهبان الكيوشيون.
- الرهبان البيض[21].

وقد تحول دور الكنيسة في العصر الحديث في علاقتها بالإسلام من مجرد دارسة الإسلام بهدف انتقاده والطعن فيه إلى محاولة نشر الديانة المسيحية في أوساط المسلمين، وهذا ما يعرف بالحركة التنصيرية، التي تحالفت مع الاستشسراق الحديث الذي أصبح تمثل بالنسبة إليها بنك معلومات يمدها بما تحتاج إليه قبل الخوض في مخططاتها العملية.

وكما يذكر محمود محمد شاكر فإن المستشرقين قد أصبحوا جنودا للمسيحية الشمالية: "الذين وهبوا أنفسهم للجهاد الأكبر، ورضوا لأنفسهم أن يظلوا مغمورين في حياة بدأت تموج بالحركة والغنى والصيت الذائع، وحبسوا أنفسهم بين الجدران المختفية وراء أكداس من الكتب مكتوبة بلسان غير لسان أممهم التي ينتمون إليها، وفي قلوبهم كل اللهيب الممض الذي في قلب أوروبة، والذي أحدثته فجيعة سقوط القسطنطينية في حوزة الإسلام، ولكن لاهم لهم ليلاً ولا نهاراً إلا حيازة كنوز علم دار الإسلام بكل سبيل، تتوهج افئدتهم ناراً أعتى من كل ما في قلوب رهبان الكنيسة، ولكنهم كانوا يملكون من القدرة الخارقة أن

---

[20] جرير دي أورالياك (938-1003) فرنسي يعتبر اول من استشرق، حاول أن يتعرف على العالم الإسلامي، وينقل معرفته إلى بلاده، فيعتبر اهعم شخصية في هذا الوقت المبكر لالتقاء الفكرين العربي الإسلامي بالغربي اللاتيني. (يحيى مراد، افتراءات المستشرقين والرد عليها، ص: 40-41.

[21] نجيب العقيقي: المستشرقون. 249/3 – 316.

يخالطوا أهل الإسلام في ديارهم، وعلى وجوههم سيمياء البراءة واللين والتواضع وسلامة الطويلة والبشر. وبفضل هؤلاء المتبتلين المنقطعين عن زخرف الحياة الجديدة، وبفضلهم وحدهم بفضل ملاحظاتهم التي جمعوها من السياحة في دار الإسلام ومن الكتب، وبذلوها لملوك المسيحية الشمالية نشأت طبقة الساسة الذين يعدون ما استطاعوا من عدة لرد غائلة الإسلام ثم قهره في عقر داره، ولتحقيق الأحلام والأشواق التي كانت تخامر قلب كل أوروبي أن يظفر بكنوز الدنيا المدفونة في دار الإسلام وما وراء دار الإسلام. وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم رجال ((الاستعمار)). وبفضلهم وحدهم أيضاً، وبفضل ملاحظاتهم التي زودوا بها رهبان الكنيسة ثارت حمية الرهبان ونشأت الطائفة التي تدرت نفسها للجهاد في سبيل المسيحية، وللدخول في قالب العالم الإسلامي لكي تحول من تستطيع تحويله عن دينه إلى الملة المسيحية، وأن ينتهي الأمر إلى قهر الإسلام في عقر داره – هكذا ظنوا يومئذ – وهذه الطائفة هي التي عرفت فيما بعد باسم رجال ((التبشير)). فهذه ثلاثة متعاونة متآزره متظاهرة، وجميعهم يد واحدة لأنهم أخوة أعيان، أبوهم واحد، وأمهم واحدة، ودينهم واحد، وأهدافهم واحدة ووسائلهم واحدة"[22].

وفي هذا السياق المعبر عن العلاقة الكبيرة التي تجمع الاستشراق باللمسيحية في العصر الحديث والمعاصر يقول **محمد عبدالفتاح عليان**: "لم يكن عمل المستشرقين منفصلاً عن عمل المبشرين، فالاستشراق في نشأته ما هو إلا أداة من أدوات التبشير – ثم استغل في مرحلة لاحقة – لتحقيق مطامع الدول الاستعمارية. وقد نزل كثير من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية إلى ميدان الاستشراق بقصد التبشير وتدريب المبشرين على العمل في بلاد الشرق"[23].

ويضيف **أنور الجندي** في العلاقة التي تجمع الاستشراق بالدراسات المسيحية القديمة والحديثة، أن الاستشراق ليس وتليد الحركة التنصيرية (الدراسات المسيحية الكنسية) وأنما هو

---

[22] محمود محمد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. القاهرة: دار الهلال، 1408هـ/ 1987م. (سلسلة كتاب الهلال/ 422) ص73 – 75 .

[23] محمد عبدالفتاح عليان. أضواء على الاستشرا. الكويت: دار البحوث العلمية 1400هـ/ 1980م. ص24 .

وليد كذلك للحركة الاستعمارية المسيحة الغربية، فقهو ولد –حسب تعبيره– غير شرعي للعلاقة بين التنصير والاستعمار[24]، وكلاهما دافعه الكنيسة في الرغبة في التوسع خاصة على حساب الدين الإسلامي.

وأبرز دليل على العلاقة التي تجمع الاستشراق بعمل الكنيسة (التنصير) هو أن كثيرا من المستشرقين في العصر الحديث والمعاصر قد بدأوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت داخل الكنيسة أو خارجها، ومن ابرز المستشرقين اللاهوتيين: **الأب هنري لامانس** 2862 – 1937م و **دنكن بلاك ماكدونالد** 1863 – 1943م و **الأب آسين بلاثيوس** 1871 – 1944م و**شارل دوفوكول** (؟)و **وليام مونتغمري وات** معاصر و**سنوك هو رغرونيه** 1857 – 1936م)) والملاحظ أن هؤلاء المستشرقين المنصرين موزعين من بلاد أوربا وأمريكا في الولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا وإسبانيا وفرنسا وبريطانيا وهولندا[25].

وإذا كان دافع الكنيسة خاصة في القرون المتقدمة من دراستها للإسلام هو الطعن فيه ومحاولة إثبات زيف نبوة محمد –صلى الله عليه وسلم–، فإن دافع الاستشراق في بدجاياته لم يخرج من هذا الإطار، هذا بالإضافة غلى محاولة إثبات ان ما وصل إليه العالم الإسلام من تخلف وتقهقر هو بسبب اتباع هذا الدين والإصرار على اتباع ما جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم–، ولهذا هاجم الاستشراق الحديث الدين الإسلامي بكل ما يحمله من تعاليم وشريعة وشخص نبيه، هجوما شرسا وشرع المستشرقون في صياغة الحجج والبراهين معتمين على ما كان يذيعه أسلافهم في القرون الوسطى بشكل من التجديد والتحديث[26].

ثالثا: النقد الاستشراقي لموقف الكنيسة من نبي الإسلام:

لا بد من توضيح المقصود من القول بالنقد الاستشراقي لموقف الكنيسة، إذ قد يتبادر إلى الذهن الحديث عن المستشرقين المنصفين فقط الذين أنصفو الإسلام بدراساتهم

---

[24] أنور الجندي: الإسلام في وجه التغريب: مخططات التبشير والاستشراق. القاهرة: دار الاعتصام، (د.ت) ص: 266 – 267

[25] أ. د. علي بن إبراهيم النملة، الإستشراق في خدمة التنصير واليهودية، https://www.alukah.net/culture/0/247/#_ftnref13.

[26] محمد بن عبود. ((الاستشراق والنخبة العربية)). ص202.

الآكاديمية الموضوعية البعيدة عن التعصب والتمذهب، والمنطلقة من الخلفية المسيحية الكنسية القديمة، والحقيقة أن المقصود من النقد الاستشراقي لموقف الكنيسة هو كل الدراسات الاستشراقية التي رأت فيما ذهبت إليه الكنيسة في موقفها من الإسلام تطرفا وتحيزا ومجانبة للحقيقة، وبعدا عن الوقائع التاريخية والنصوص الإسلامية الصحيحية.

ولهذا قد تجد من المستشرقين من نقد ما ذهبت إليه الكنيسة في آرائها حول الإسلام والنبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، ولكنه في نفس الوقت تجده يفتري افتراءات ويكيل تهما من نوع آخر، مثل ما فعل كلا من **غوستاف لبون، مونتغمري** وغيرهما، اللذين يعتبرهما الكثير من الدراسين المسلمين وغير المسلمين من الذين أنصفو الإسلام ونبيه في دراساتهم الاستشراقية.

فعندما تقرأ **لغوستاف لون** وهو يتحدث عن الحضارة الإسلامية أو عن نبي الإسلام محمد –صلى الله عليه وسلم– وهو يتحدث مثلا عن سماحة الإسلام: «وسيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم أن القوة لم تكن عاملا في انتشار القرءان، فقد ترك العرب المغلوبين أحرارا في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض أقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل»[27]

ويتحدث **غوستاف لبون** عن النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– بقوله: « كان شديد الضبط لنفسه، كثير التفكير، صموتا، حازما، سليم الطوية.. صبورا، قادرا على احتمال المشاق، ثابتا، بعيد الهمة، لين الطبع، وديعا.. وكان مقاتلا ماهرا، فكان لا يهرب أمام المخاطر ولا يلقي بيديه إلى التهلكة، وكان يعمل ما في الطاقة لأنها خلق الشجاعة والإقدام في بني قومه.. وكان عظيم الفطنة[28]»

لكن المتأمل والمدقق في آراء **لبون** سيجده يكيل الشكوك الكثيرة حول الكثير من المسائل خاصة المتعلقة بشخص النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– ومنها:

---

[27] حضارة العرب، غوستاف لوبون. نقله إلى العربية؛ عادل زعيتر. ط/ 3. 1399هـ/ 1979م. دار إحياء التراث العربي–بيروت–لبنان.، ص: 16.

[28] المصدر نفسه: ص: 141

- الشك في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ولادته، حيث أثار الشكوك حول الآيات التي ظهرت عند ولادته صلى الله عليه وسلم، وكرر لوبون نفس الشكوك في المعجزات النبوية لما عرج على حياة النبي صلى الله عليه وسلم في البادية عندما كان مع مرضعته، وادعى أن الخوارق التي رآها أبواه من الرضاعة ما هي إلا مزاعم كتب السيرة، فقال في ذلك؛ «فلما بلغ السنة الثالثة من عمره، ورأى أبواه من الرضاعة ما رأيا من الخوارق التي كانت تلازمه على زعم كتب السيرة[29]».

- **الشك في الوحي:** حيث قال: « وتقول القصة إن محمدا سافر مرة مع عمه إلى سورية فتعرف في بصرى براهب نسطوري في دير نصراني فتلقى منه علم التوراة»[30]

- **الشك في عقل الرسول –صلى الله عليه وسلم:** وخاصة فترة زواجه بالسيدة خديجة –ضي الله عنها- وسكوت كتب التاريخ عن تلك الفترة، فيقول لبون: «ويفترض وإن لم يقم دليل على ذلك، أنه كان يفكر أثناءها في مبادئ دينه الذي سيكون زعيمه[31]».

- ويضيف قائلا وواصفا النبي محمد –صلى الله عليه وسلم-: «يجب عد محمد من فصيلة المهووسين من الناحية العلمية[32]» ويقول كذلك: «يحفزه إلى اقتحام كل عائق، ويجب على من يود أن يفرض إيمانه على الآخرين أن يؤمن بنفسه قبل كل شيء، ومحمد كان يعتقد أنه مؤيد من الله فيتقوى فلا يرتد أمام أي مانع[33]»

إذن نقد المستشرقين لموقف الكنيسة التقليدي من الإسلام نبيه، ليس دليلا على إنصاف المستشق من عدمه، ولكن بالمقابل نجد مستشرقين نقدو الموقف الكنسي من جهة كما نقدو الدراسات الاستشراقية المتحيزة، ومن جهة ثالثة أنصفو الإسلام وخاصة نبيه محمد

---

[29] المصدر نفسه، ص: 130

[30] المصدر نفسه، ص: 130

[31] نفس المصدر، ص: 131.

[32] نفس المصدر، ص: 145.

[33] نفس المصدر، ص: 145.

—صلى الله عليه وسلم– في دراساتهم وأبحاثهم، ولذا تجد من هؤلاء من اختار الإسلام دينا له فيب آخر أمره وعلى رأس هؤلاء الطبيب الفرنسي **موريس بوكاي**.

ولعل استقراء قائمة كل المستشرقين المنصفين الذين نقدو المواقف الكنسية والاستشراقية على حد سواء من الصعوبة بمكان خاصة في هذه الورقة البحثية المحدودة الصفحات، لذا يتوجب علينا انتقاء بعض النماذج فقط، ومنها الآتي:

1. ردود متفرقة من المستشرقين وكتاب غربيين على موقف الكنيسة من نبي الإسلام:

يرى **برنارد شو** أن ما ذهبت إليه الكنيسة في موقفها من الإسلام عموما ومن نبيه — عليه الصلاة والسلام– كان ينبع من العصبية الذميمة خاصة فيما كانت تشيعه بين الناس في القرون الوسطى من أن محمدا هو عدو للمسيح من أجل تنفير الناس عن هذا الدين فيقول: "**لقد طبع رجال الكنيسة** في القرون الوسطى دين الإسلام بطابع أسود حالك، إما **جهلاً وإما تعصباً**، إنهم كانوا في الحقيقة مسوقين بعامل **بغض محمد ودينه**، فعندهم أن محمداً كان عدواً للمسيح، ولقد درست سيرة محمد الرجل العجيب، وفي رأي أنه بعيد جداً من أن يكون عدواً للمسيح، إنما ينبغي أن يدعى منقذ البشرية "[34] .

وبدوره يفند المستشرق **هنري دي كاستري**

وفي كتابه : " **الإسلام خواطر وسوانح** " يرد المستشرق **هنري دي كاستري** على مذهب الكنيسة في أن محمد ادعى الألوهية وأن أتباعه من بعده كانوا يعبدونه بصنع التماثيل له فيقول: "وذهبوا إلى أن محمداً وضع دينه بادعائه الألوهية، ومن المستغرب قولهم: إن محمداً الذي هو عدو الأصنام ومبيد الأوثان، كان يدعو الناس لعبادته في صورة وثن من ذهب، بل لقد أغرق خيالهم في الضلال، فذهبوا إلى أبعد من ذلك، وذهبوا إلى صورة

[34] برنادشو ، نقلا خليل ياسين، محمد عند علماء الغرب، دار العلم والحكمة، ط: 3، ص 107.

"ماهومت" كانت تصنع من أنفس الاحجار والمعادن بأحكم صنع وأدق إتقان" [35]

ويؤكد المستشرق السويسري **جون وانتبورت** في كتابه : «**محمد والقرآن**» أن كل الدراسات التاريخية تثبت تهافت التهم التي كانت الكنيسةفي الثرةن الوسطى تشيعها عن نبي الإسلام، تلك التهم التي تلقفها الاستشراق الحديث وحاول نشرها في الأوساط الأوروبية يقول في كتابه "محمد والقرآن": "بقدر ما نرى صفة محمد الحقيقية بعين البصيرة والتروي في المصادر التاريخية الصحيحة ، بقدر ما نرى من ضعف البرهان وسقوط الأدلة لتأييد أقوال الهجو الشديد » والطعن القبيح الذي اندفن على رأسه ، وانهار عليه من أفواه المغرضين ، والذين جهلوا حقيقة محمد ومكانته ، ذلك الرجل العظيم عند كل من درس صفاته العظيمة ، كيف لا وقد جاء بشرع لا يسعنا أن نتهمه فيه" [36]

وينفي المستشرق الألماني **كارل هينرش بيكر** تهمة الشعوذة والسحر عن النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– فيقول في كابه "**الشرقيون**": "لقد أخطأ من قال إن نبي العرب دجال أو ساحر لأنه لم يفهم مبدأه السامي، إن محمداً جدير بالتقدير، ومبدؤه حري بالاتباع، وليس لنا أن نحكم قبل أن نعلم، وإن محمداً خير رجل جاء إلى العالم بدين الهدى والكمال، كما أننا لا نرى أن الديانة الإسلامية بعيدة عن الديانة المسيحية"[37] .

أما عن تهمة الصرع والشخصية الهستيرية تي كانت موضع التركيز من الكنيسة والاستشراق على حد سواء، فيرد عليها الكاتب **ر.ف . بودل** في كتابه «**الرسول ، حياة محمد**» قائلا: "يذكر الأطباء أن المصاب بالصرع، لا يفيق منه إلا وقد ذخر عقله بأفكار لامعة، وأنه لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي يتمتع بها محمد حتى قبل مماته بأسبوع واحد، وما كان الصرع يجعل من أحد نبيا أو مشرعاً، وما رفع الصرع أحداً إلى مركز التقدير والسلطان يوماً، وكان من تنتابه مثل هذه الحالات في الأزمنة الغابرة يعتبر مجنوناً أو به

---

[35] هنري دي كاستري : الاسلام خواطر و سوانح، ت: أحمد فتحي زغلول مكتبة النافذة، ط: 1، 2008، دار الطيبة للطباعة، الجيزة، ص: 30.

[36] جوان واتنبرت : محمد و القران.، ت: الدكتور رضوان السيد، شرق غرب للنشر وبدعمٍ من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط 1، 2009، ص: 150.

[37] كارل هينرش بيكر : الشرقيون. نقلا عن أحمد محمد هويدي، الإستشراق الألماني ، تأريخه وواقعه وتوجهاته المستقبليةّ، القاهرة ط 2000م ص ط125

مس من الجن، ولو كان هناك من يوصف بالعقل و رجاحته فهو محمد"[38].

وفي كتابه "**الشرق**" يؤكد المستشرق الفرنسي "**لوازون**" على نبوة محمد –صلى الله عليه وسلم– أمام من ينكرها من المستشرقين أمثاله ومنقساوسة الكنيسة كذلك، فيقول في كتابه "الشرق" : "إن محمداً بلا التباس ولا نكران **كان من النبيين والصديقين ، وهو رسول الله** القادر على كل شيء، بل إنه نبي جليل القدر، ومهما تحدثنا عنه فليس بالكثير في حقه، لأنه جاء إلى العالم بدين جمع فيه كل ما يصلح للحياة" [39] .

2. رد لورا فينشيا فاليري على افتراءات الكنيسة والمستشرقين على نبي الإسلام:

لورا فيشيا فاغليري، باحثة إيطالية، ولدت سنة 1893، درست التاريخ الإسلامي واللغة العربية وآدابها، عملت أستاذاً للغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي، وقدمت في هذا الشأن العديد من المؤلفات منها كتاب «**قواعد العربية**» في جزأين، وكتاب «**دفاع عن الإسلام**»، والذي صدر باللغة الإيطالية ثم ترجم إلى الإنجليزية، وهو من أكثر الكتب الاستشراقية إنصافاً للإسلام ورسوله، ولها كتاب آخر تحت عنوان «**تقدم الإسلام السريع**».

تعتبر **لورا فينشيا فاليري** من أوائل المستشرقين الذين تميزت دراساتهم وكتاباتهم بالحياد والبعد عن التعصب، والآكاديمية والعلمية في التناول، حيث درست الإسلام دراسة علمية عميقة، أوصلتها إلى اكتشاف زيف ما أفرزته الدراسات الكنيسة المسيحية، والكتابات الاستشراقية سواء التي سبقتها أو التي عاصرتها، كما أوصلتها الدراسة العلمية الدقيقة للإسلام إلى حجم التحامل البغيض الذي كانت تشيعه الدراسات الاستشراقية والتي تعبر عن الجهل من جهة والتجاهل المقصود من جهة ثانية للإسلام وتعاليمه، وخاصة ما تعلق منه بشخص نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–، وهذا ما دفعها إلى التأليف حول الإسلام لتبين رأيها وموقفها، ولتجلي حقيقة الإسلام كما هو عليه، وليس كما يروجد له هؤلاء الحاقدون،

---

[38] رونالدو .فيكتور كورتيناي. بودلي : الرسول ، حياة محمد، ت: محمد محمد فرج وعبد الحميد جودة، مكتبة مصر، 1989، مصر، القاهرة،

[39] لوازون : الشرق ، ص61، نقلا عن المقتطف، ج4 ، عدد7 من كتاب: محمد شريف الشيباني: الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة.

لذا اهتمت في كتاباتها بالرد على كل تلك الراء المغلوطة والرائجة في الفكر الكنسي المسيحي أو الاستشراقي الغربي.

وأهم المسائل التي تناولتها **لورا فينشيا فاليري** في دراساتها منتقدة بذلك خاصة ما روجته الكنيسة عن الإسلام ومحمد –صلى الله عليه وسلم–:

أ. دفاع عن النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–

بدأت **لورا غينشيا** دفاعها عن النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– بتفنيد أقبح شبهة ألصقتها الدراسات الكنسيو والاستشراقية بنبي الإسلام وهي شهوانية النبي، فتدرأ عنه هذه الشبهة، من خلال سرد لتاريخ زواجه الأول بالسيدة خديجة التي تكبره في السن، ثم زواجه المتعدد بتلك النسوة –رضوان الله تعالى عليهن– اللاواتي لا يعبر الزواج بهن عن أية شهوانية فتقول: "**لقد أصر أعداء الإسلام على تصوير محمد شخصا شهوانيا ورجلا مستهترا، محاولين أن يجدوا في زواجه المتعدد شخصية ضعيفة غير متناغمة مع رسالته**".... **ذلك انه قصد من خلال النسوة اللاتي تزوجهن تكريم النسوة المتصفات بالتقوى، أو إلى إنشاء علاقات زوجية مع العشائر والقبائل ابتغاء شق طريق جديد لانتشار الإسلام، وباستثناء عائشة ليس غير، تزوج محمد من نسوة لم يكن لا عذارى ولا شابات ولا جميلاتفهل ذلك شهوانية؟**"[40]

وفي معرض الرد على تهمة الكذب وادعاء النبوة، تقرر الكاتبة أولا نبوة محمد –صلى الله عليه وسلم– وتؤكدها وتتهم أولئك المغرضين بالعمي أو تعمد عدم رؤية الحقائق: تقول **لورا غينشيا** "**إنهم لم يريدوا أن يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسؤولة عن رسالة محمد، آخر الانبياء الكبار حملة الشرائع، والنبي الذي ختم سلسلتهم إلى الأبد، ... لقد كان أولئك إما عميا وإما غير راغبين في أن يروا، لقد راح أولئك الناس يشيعون أن جوهر الإسلام كان العدوان العنيف، ... بل لقد اتهموا محمدا نفسه بالكذب وبالقسوة والشبق،** "[41]

---

[40] لورا فينشيا فاليري ، دفاع عن الإسلام، صت: منير البعليلي، دار العلوم للملايين،ط: 5، 1905م ص:99-100.

[41] نفس المصدر، ص: 28

أما عن تهمة العنف التي ألصقت بشخص النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– خاصة مع أتباع الديانات الأخرى فتقول مفندة هذا الكلام: "**وكان محمد المتمسك دوما بهذه المبادئ الإلهية، شديد التسامح، وبخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة... لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين، بالأناة دائماً اعتقاداً منه بأن الزمن سيتم عمله الهادف إلى هدايتهم وإخراجهم من الظلام إلى النور، لقد عرف جيداً أن الله لا بد أن يدخل آخر الأمر إلى القلب البشري**"[42]، وتضيف مبررة بعض مظاهر القسوة في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم–، بأنها ترجع إلى وظيفته كقائد للدولة وقاض أول بين الناس، لا كوظيفته كنبي والتي تتميز بالصفح والتسامح والعفو: "**إن تهمة القسوة فالرد عليها يسير، إن محمدا بوصفه رئيسا للدولة ... قد عاقب باسم العدالة بعض الأفراد المتهمين بجرائم معينة عقابا قاسيا، .... أما محمد المبشر بدين الله فكان لطيفا رحيما حتى مع أعدائه الشخصيين، لقد اجتمهت في ذات نفسه الرحمة والعدالة، وهما اثنان من أنبل الصفات ..**"[43]

ودائما في معرض الرد على التهم التي لادليل عليها، وإنما مبناها في نظر **لورا غينشيا** الحقد على الإسلام ونبيه، "**وحاول أقوى أعداء الإسلام وقد أعماهم الحقد أن يرموا نبي الله ببعض التهم المفتراة ... ومن العجب أن هؤلاء الناس لا يجششمون انفسهم عناء التساؤل كيف جاز أن يقوى محمد على تهديد الكاذبين والمرائين في بعض الآيات القرآنية اللاسعة، بنار الجحيم الأبدية لو كلن هو قبل ذلك رجلا كذابا؟** "[44]

ب. دفاع عن الإسلام عموما:

تبدأ **لورا فينشيا فاليري** دفاعها عن الدين الإسلامي ونقدها للأوهام التي نشرتها الكنيسة المسيحية والدراسات الاستشراقية المتحيزة عن الإسلام بإبداء إعجابها الكبير بهذا الدين وتاريخ انتشراه بين الأمم والشعوب: "**أية قوة عجيبة تكمن في هذا الدين؟! أية قوة**

---

[42] نفس المصدر ص: 34

[43] نفس المصدر ص: 38

[44] نفس المصدر ص: 37

داخلية من قوى الإقناع تنصهر به؟ ومن أي غورٍ سحيق من أغوار النفس الإنسانية ينتزع نداؤه استجابةً مزلزِلة؟!"[45]

هذا الدين الذي صورته الكنيسة على أنه مجرد خزعبلات وخليط لا معنى له تعتبره **لورا فينشيا فاليري** ليس مجرد دين يربط الإنسان بالله وكفى وإنما هو فلسفة حياة "...**لأنه ليس مجرد عقيدة ولكنه –إلى ذلك أيضا– فلسفة حياة، إنه يعلم التفكير الصائب، والعمل الصالح، والكلام الصادق، وهو لهذه الأسباب يتخذ سبيله إلى عقل الإنسان وقلبه في غير عسر**"[46].

وتضيف مؤكدة على أن الإسلام هو فلسفة حياة: "**إن علينا أن نقدم أعمق إعجابنا إلى دين لا يكتفي بنظرية ملائمة لمطامح الطبيعة البشرية، وبإقامة شريعة تتألف من اسمى القوانين التي يستطيع الإنسان الحياة وفقها، ولكنه يذهب إلى أبعد من ذلك فينادي بفلسفة حياة، دين يقيم مبادئ الأخلاق الأساسية على أساس نظام إيجابي**"[47]

وفي ردها على الذين يشيعون أن الإسلام دين يناقض المعقول ويقف حاجزا أمام التطور والتقدم، ويخالف العلم ويحارب الثقافة والفلسفة، تقول **لورا فينشيا فاليري**: "**إن دينا يتخذ من التأمل العقلاني أساسا له، ويفسح مثل هذا المجال العرض للعقل، ويأمر باصطناع جميع الملكات التي وهبها الله للإنسان وبالتالي اصطناع تلك الملكة التي تعتبر أهمها على الإطلاق وهي ملكة الذكاء مثل هذا الدين كيف يمكن أن يكون عقبة في طريق العلم والفلسفة**"[48]

ثم تتعجب من افتراءات هؤلاء المغرضين، لأنها تخالف التاريخ الذي يشهد على خلاف مزاعمهم، وأن هذه التهم إنما تصدق على الحضارة الغربية التي تسبح في ظلمات الجهل والفقر والتخلف خلال القرون الوسطى والتي كانت حياة المسلمين أيامها تزخر بالمدارس العامرة بالعلم والثقافة: "**كيف نستطيع ان نقول ان الإسلام عاق نحو الثقافة**

---

[45] نفس المصدر ص: 40

[46] لورا فينشيا فاليري ، دفاع عن الإسلام، ص: 90

[47] نفس المصدر، ص: 93.

[48] نفس المصدر، ص: 128.

في القرون السالفة ونحن نعلم ان بلاطات الإسلام ومدارسه آنذاك منارات ثقافة لأوروبة الغارقة في ظلمات القرون الوسطى"[49]

وفي المقارنة بين حال أهل الكتاب في تعاملهم مع كتبهم وتعامل المسلمين مع القرآن تقول: "**لقد أزال الإسلام السرية التي أضفاها الآخرون على دراسة الكتب المقدسة، مؤنبا أولئك الذين لا يحسنون غير تلاوة كلمات الكتاب، ...**"[50]،

وفي ردها على أن الإسلام قد اقتبس من التوراة والإنجيل مفاهيم العقيدة والشريعة تقول **لورا فينشيا فاليري: "وليس من شك في أن قوما سيقولون انه ليس أصيلا، وانه يشبه المفهومين اليهودي والنصراني إلى حد بعيد، وأن الإسلام لم يقدم أيما عنصر جديد لتصوير العلاقة بين الله والإنسان، ولكن أية قيمة لهذا النقد إذا ادركنا ان محمدا نفسه لم يزعم أنه جاء بفكرات جديدة، ولكنه اعلن في جلاء أن الله أرسله ليعيد ملة إبراهيم التي حرفت من بعده... لقد كان هو آخر الأنبياء حملة التشريع لا غير"**[51]

ج. دفاع عن الأخلاق الإسلامية:

يثير أعداء الإسلام من المسيحيين والمستشرقين شبهات حول الاخلاق الإسلامية، منجهة كونها لا تمت بأي صلة للأخلاق الحسنة، ومن جهة كونها تطبع النفس على الخضوع والاستسلام السلبي فترد عليهم **لورا فينشيا فاليري قائلة: "زعم بعض الكتاب الغربيين أن الأخلاق الإسلامية خطرة على الفرد لأنها حافلة بروح الخضوع والاستسلام السلبي للقوة الإلهية، .... وقبل أن نحاول تقديم المفاهيم الأخلاقية العليا التي تنير نفوس أتباع محمد سنجيب على هذا الاتهام بكلمات غولدزير العالم الاوروبي نفسه..."**[52]

ثم تربط ما جاء به الإسلام من أخلاق حسنة بما جاء مثله في الإنجيل لتبين أن الخلق الحسن ليس حكرا على النصوص الإنجيلية أو التوراتية فقط، فتقول: **"وفي القرآن أيضا**

---

[49] نفس المصدر، ص: 130

[50] نفس المصدر ص: 47

[51] نفس المصدر ص: 54.

[52] نفس المصدر ص: 75.

بعض الآيات التي تذكر بالوصية الإنجيلية التي كثيرا ما يعتبرها المسيحيون حجر الاساس في الأخلاق النصرانية[53]: **"ادفع بالتي هي أحسن"**

د. دفاع عن الشريعة:

أما عن ردها عن الشبهات التي تحوم حول الشريعة الإسلامية، فقد ردت **لورا فينشيا فاليري** عن الكثير منها، والمقام لا يسمح بذكرها كلها، لذا سنقتصر على شبهتين فقط، الأولى حول تعدد الزوجات حيث تقول **لورا فينشيا** حول هذا الموضوع: **"وفي استطاعتنا أن نبدأ بالنص على انه لم يقم الدليل حتى الآن بأي طريقة مطلقة على أن تعدد الزوجات هو بالضرورة شر اجتماعي وعقبة في طريق التقدم..."**[54]

والثانية حول مكانة المرأة في الإسلام فتقرر **لورا فينشيا** أن ما خص به الإسلام المرأة من مكانة لم يسبقه إليها أي دين آخر: **" وفوق هذا منح الإسلام المرأة حقوقا لم تكن معروفة قط من قبل..."**[55]

هـ. دفاع عن القرآن:

أما ما يحاك عن القرآن الكريم من شبهات في كتابته وتأليفه واقتباسه من الكتب الأخرى فتقول **لورا فينشيا: "إن معجزة الإسلام العظمى هي القرآن الذي تنقل إلينا الرواية الراسخة غير منقطعة من خلاله أنباء تتصف بيقين مطلق إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته، إن كلا من تعبيراته شامل جامع، ومع ذلك فهو ذو حجم مناسب ليس بالطويل أكثر مما ينبغي ولا بالقصير أكثر مما ينبغي، أما أسلوبه فأصيل فريد وليس ثمة أيما نمط لهذا الأسلوب في الأدب العربي الذي تحدر إلينا من العصور التي سبقته"**[56]

وفي ردها عن شبهم أن القرآن الكريم من كتابة محمد –صلى الله عليه وسلم تقول **لورا فينشيا: "...فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد، وهو**

---

[53] لورا فينشيا فاليري ، دفاع عن الإسلام،ص: 80

[54] نفس المصدر، ص: 97.

[55] نفس المصدر، ص: 98.

[56] نفس المصدر ص: 56.

العربي الأمي الذي لم ينظم طوال حياته غير بيتين أو ثلاث أبيات، لا ينم أيّا منها على أدنى موهبة شعرية"[57]

.3

خاتمة:

إن الدارس لموقف المستشرقين في العصر الحديث والمعاصر من الإسلام عموما ومن النبي محمد –صلى الله عليه على وجه خاص، يجد ترابطا وثيقا بين مواقفهم وموقف الكنيسة المسيحية قديما من نفس المسائل التي تناولون بالدرس والبحث، ولذا كان علينا أولا الرجوع إلى دراسة التراث الجدلي المسيحي الإسلامي الذي مهّد لظهور الدراسات الاستشراقية وأمدها بالمادة الخام، قبل أن تتطور الدراسات الاستشراقية وتستقل عن الكنيسة وتصبح هي الممول للكنيسة في حملاتها التنصيرية خاصة في العالم الإسلامي.

إذن لا بد من دراسة هذا التراث الجدلي المسيحي من أجل تأصيل لموقف الاستشراق من الإسلام، وإرجاع المقولات إلى مصادرها الأولى، ولتحليل ذلك التراث المسيحي الذي لم يعنى للأسف الشديد بالدراسة الكافية في الدراسات العربية والإسلاميةن وهذا عكس ما نجده في الدراسات الغربية التي أولت هذا التراث أهمية كبيرة.

كما لا بد وأن نفرد جانبا من اهتماماتنا البحثية لدراسة الأبحاث الاستشراقية، لا أقول المنصفة، وإنما الأبحاث الغربية نفسها التي تنقد الاستشراق الغربي والمواقف الكنسية من الإسلام وخاصة من نبيه –عليه الصلاة والسلام–.

إن باحثين أمثال لورا فيشيا فاغليري الذين أنصفو الإسلام في دراساتهم وردوا على التهم التي كالتها الكنيسة والاستشراق للإسلام ونبيه، لا بد وأن يأخذوا حظهم من الدراسة والبحث، وهذا ما لم نجده في الدراسات العربية والإسلامية علىعكس مثيلاتها دوما في البيئة الغربية.

[57] نفس المصدر ص: 57.